فهلكك فيما هلكوا وكان بعض الحكما يقول لا تواخ من الناس من تتغير عليك في اربع عند
غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطبايع لدخول الضرر منها
على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع اخر ومن كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته
لكثرة اعماله او وافقا مع اكمل احواله دل على جهله بهذه الطريقة التي تنفذ الى التحقيق
لانها تحول وانما العمل على حقايق القلوب لانها ثابتة في الاحوال فان اقترن الى جهله
نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته وتحسن عنده
اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها
ويسقط من عين مولاه ولا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثنا والمدح واثبات المنزلة
باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينيذ من اشام الناس عليه واضرهم له ويصير
احدهما بلا على صاحبه فليفارقه حينيذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجر النقصان
بصحبته وتدخل عليه الافات بمقارنته ولينفرد بنفسه ويصدق في حاله علانية الا ان
اودنيه وضعت كانت او رفيعه من غير مقارنة احد ولا مباينة فهو خير له واحمد عاقبة
انتهى ويدل على ارادة صاحب هذا الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه
على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله
فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة
قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة الغافلين
والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه
قلت لذي النون المصري من اصحب فقال من لا يكتمه شيا يعلمه الله منك وقال
حمدون القصار اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن
عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى ان العجب بالعمل منفي في صحبتهم وقال الجنيد
رضي الله عنه اذا اراد الله تعالى بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القرا
وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقا من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار وقال مرة
شر الاصدقا من تكلف له وانشد ابو يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه

احب من الاخوان كل مواتي ... وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل امر احبه ... ويحفظني حيا وبعد مماتي

فمن لي بهذا ليت اني وجدته ... فقاسمته مالي من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عاداهم
من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقايق التوحيد والمعرفة بخصايص لم يشاركهم
فيها احد وتشرف بذلك من اصحابه الى المحبوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من
تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرايحة الطيبة
هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمواظبة والموانسة وقد وصفهم بعض العلما
فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين احدا غير الله ولا يشتغل بغير الله تعالى قد سخر له كل
شي ولم يسخر هو لشي وسلط على كل شي ولم يسلط عليه شي ياخذ النصيب من كل شي
ولا ياخذ النصيب منه يصفوا به كدر كل شي ولا يكدر صفوه شي قد شغله واحد عن كل
شي وكفاه واحد من كل شي فانظر رحمك الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها وما اشرف
المتصف بها وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم ومن صحبة امثال
هولا يحصل للمريد من المزية ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع المكابدات
حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل قال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه فاذا اصنع بالكيميا والله لقد صحبت اقواما يعبر احدهم على الشجرة
اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هولا الرجال فاذا يصنع بالكيميا
وقال ايضا رضي الله عنه والله ما سار الاوليا والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا
فاذا لقوه كان بغيتهم وقال ايضا رضي الله عنه والله ما بيني وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة
وقد اغنيته وقال في شيخه ابو الحسن رضي الله عنهما ابو العباس هو الرجل الكامل والله انه
ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المسا الا وصله الى الله وسياتي طرف من ذكر
حال المولف في صحبته وما اوصله اليه بركة رويته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة
القلب الذي منه برز ربما كنت مسيا فاراك الاحسان منك صحبتك من هو اسوا
حالا منك هذه اعظم افة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهو
استحسانه لما هو عليه فيوديه ذلك الى الرضا عن نفسه وروية الاحسان منها وهو اصل كل
شر كما تقدم ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب
على حسب قلوب العمال تصدر عنهم الاعمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا
في الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل وان كان كثيرا
في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الافات التي تقدح في

Copyright © King Saud University